التراكمية في العمارة المعاصرة

أستاذ خليل إبراهيم علي
قسم الهندسة المعمارية
الجامعة التكنولوجية

آمال عبد الحسن الحجاج
ماجستير هندسة معمارية

الخلاصة:

التراكم موجود منذ بدء الخليقة في الطبيعة، وكانت محاورة الطبيعة هي أولى محاولات الإنسان في التكوين، ولكن كان الاختلاف في تفسير آلية الطبيعة في التوليد، إذ أن تفسيرها يخضع لمدى عمق وكيفية تحليل العملية، وبالمماثلة مع ما حدث في الاستعارة من الطبيعة، فقد ظهرت أنواع من التراكم في كل فترة من فترات العمارة تبعاً لكيفية تفسيرها لعملية التوليد والبناء (وفي عدم تفسيرها في بعض الأحيان).

برز موضوع البحث (التراكمية في العمارة المعاصرة)، كأحد المفاهيم المطروحة في عمارة العقد الأخير، محاولةً تجاوز ما وقعت به الأساليب السابقة والتي فشلت في أسر مخيلة المتلقي وتعميق دوره في الترجمة وقراءة النص. جاءت أهميته من خلال ارتباطه بأهداف العمارة المعاصرة الداعية إلى تعدد الأصوات في النص من خلال التعدد، التكثيف، والاختلاف لتحقيق التواصل الحضاري والاتصال المؤثر بالمتلقي.

اقترن مفهوم التراكمية بالتناص كأسلوب للترابط مع التقاليد في عمارة ما بعد الحداثة وما تلاها، بعد أن أخفقت الحداثة باستثمار الإمكانيات التي يوفرها التكرار (حيث التكرار هو الشكل الأولي للتراكم، إذ أن كل تراكم هو تكرار، لكن ليس كل تكرار هو تراكم) وذلك للوصول إلى تطبيق مفهوم التراكم وبالتالي عدم بروز أهمية التراكمية في العمارة الحديثة. ركز البحث على مفهوم التراكمية في عمارة ما بعد الحداثة والتفكيكية، في محاولة لاستكشاف كيفية تعاملهم مع المفهوم، عوامل بروزه، وماهيته، كما أشر نقاط التحول التي رافقت المفهوم بين فترات العمارة المعاصرة مبيناً تباين صيغ استثماره، التعدد، التنوع، والاختلاف في الجوانب المرتبطة به.

تم اعتماد التراكمية في العمارة المعاصرة بشكل ضمني في أغلب الأحيان، وذلك بحكم تعقد المفهوم وارتباطه بعدة مفاهيم تتداخل معه أو تصب فيه بشكل غير منظر، مما ولد الحاجة إلى وجود إطار نظري يعرف المفهوم والجوانب المرتبطة به. فبرغم توفير الدراسات المعمارية السابقة قاعدة للانطلاق لسبر أغوار الإستراتيجية لكنها افتقرت إلى الشمولية التي تكفي للمقارنة بين النتاجات المعمارية واستخلاص خصوصية المفهوم. تحددت أهداف البحث في تعريف مفهوم التراكمية والجوانب المتعلقة به، ثم إيجاد وبلورة إطار شامل لهذا المفهوم كإستراتيجية للبناء وللتداخل النصي، من خلال إيجاد تعريف أجرائي لمفهوم التراكمية في العمارة. لغرض التمكن من وضع قاعدة نظرية للإطار النظري للمفهوم لاستخلاص مفردات الإطار الأساسية والتي تضمنت ثلاث مفردات أساسية (أهداف التراكمية، مستويات تحقيق التراكمية، أنماط تنظيم التراكم). لقد اتسمت المفردات المستخلصة من الطروحات المعمارية في بعض فقراتها الفرعية بمحدودية المعرفة، وبعد استيضاح مبررات وطبيعة علاقة حقل العمارة بالحقول الأدبية، التي اعتمدت في تعزيز تكامل نضج تلك المفردات. وعليه طرح الإطار النظري بصيغته النهائية ليتشكل من ثلاث مفردات هي: أهداف التراكمية، مستويات تحقيق التراكمية، أنماط تنظيم نسق التراكم.

Accumulization in contemporary Architecture

Prof. Khalil I. Ali
Department of Architecture
University of Technology

Amaal Abdul Hassan Al _ Hejaj
M.Sc.

Abstracts:

Accumulization, in contemporary Architecture, gained significance during the last decade of 20th century. It represents an attempt in changing the receiver imagination and to reinforce his role in reading and interpreting an architectural text which contains multiple layers of repeat; condensation and differences to achieve cultural continuity.

Accumulization has been used to mean intertextuality to link traditions in Post_ Modern Architecture and what follows, after modernism had failed to utilize repetition, which represent an archetype of accumulation.

This paper deals, primarily, in Post_ Modern and De_ construction architecture, to explore how these two movement had reacted to accumulation; though defining accumulization, in order to establish framework, a set of conclusions is achieved. It was found that accumulization in architecture was vaguely defined, and theoretical references were strongly linked to literature. This linkage is heavily used to arrive at constituents of accumulation. Finally, three prime constituents were identified, mainly: objectives, levels and types which organize the use of the term.

1_ المقدمة:

أقترن التراكم في بدايته بعملية التكرار المتطابق والذي أبعده من إمكانياته الأخرى وأقصره على التحلية وتحقيق التجريد والذي أرتبط بفترة الحداثة في العمارة المعاصرة، وهذا ما يوضحه البحث (بعد التعرف على المفهوم وتكوين خلفية وقاعدة لغوية عنه وتفريقه عن المفاهيم الأخرى المرتبطة به _التكرار والتماثل)، أدى ذلك إلى النظرة الظاهرية للمفهوم دون التعمق بإمكانيات التكرار الواسعة، وبذلك شخص عدم الاستثمار الأمثل لإمكانيات التكرار وبالتالي عدم بروز أهمية مفهوم التراكمية في فترة الحداثة.

توجه بذلك مسار البحث نحو عمارة ما بعد الحداثة والتفكيكية لاستكشاف ماهية المفهوم والموقف منه. وقد توضحت تعقيدات المفهوم من خلال التنوع، الاختلاف والتداخل الذي برز إثر مناقشة الموقف الفكري والتطبيقي لكل تيار من تيارات العمارة المعاصرة.

2_ التعريف بالمفهوم و المفاهيم المرتبطة به"

التراكمية في اللغة مأخوذة من الفعل رَكَمَ، ويذكر محيط المحيط:

رَكَمَ الشيء يَركُمه' رَكماً: أي جمعه وألقى بعضه فوق بعض حتى يصير ركاماً مَركوماً كر'كام الرمل، وتراكمَ الشيء وإرتكمَ: اجتمع مع كثرة وازدحام، و'مرتكم الطريق: جادته. ويشير الصحاح بأن الركمة: الطين المجموع، والر'كام: جمع شيء فوق شيء حتى تجعله ر'كاماً مركوماً كركام الرمل والسحاب ونحو ذلك من الشيء المرتكِم بعضه على بعض، وتراكم: إذا اجتمع. يضيف لسان العرب: رَكم المتاع (نضّده) وتراكمت الأثقال والأشغال: زاحم بعضها بعضاً، وقطيع ر'كام: أي ضخم. بذلك فمقومات قيام التراكم هي:

- التجميع لأشياء (أجزاء أو كليات) متماثلة (ركام الرمل، السحاب، الطين،..).
- بشكل تراكب (فوق بعضها) أو بتجاور (قطيع متراكم) .
- لا يقتصر على ما هو مادي بل ما هو غير مادي أيضاً (أشغال، أعمال،..).
- كثافة التجميع (المبالغة، الضخامة، الكثرة).

وبما أن العناصر الخاضعة للتجميع التراكمي تتصف بالتماثل والتكرار لذا سيتم التعرف على ماهية التماثل والتكرار ومعناهما لاستكمال صورة مفهوم التراكم:

3_ المفاهيم المرتبطة بالتراكم:

"التماثل "

يفرق التماثل عن المساواة في دراسة القرعان حيث أن الأخير يكون بين المختلفين في الجنسين والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، أما التماثل فلا يكون في المتفقين، أي: نحوه كنحوه، لونه كلونه، فإذا قيل هو مثله في كذا فهو مساوي له من جهة دون الأخرى. [القرعان،1994،ص19] ويذكر الصحاح بأنه التسوية وهو أيضاً الشبه. وبذلك فأن التراكم يبتعد عن المساواة في العناصر الخاضعة للتجميع الذي يدفعه باتجاه التكرار لتلك العناصر، ويقترب من الشبه بين تلك العناصر .

أي يغلب على العناصر المتراكمة صفة الاختلاف في التركيب والاشتراك في المعنى. كذلك فهو يرتبط بمفهوم آخر وهو المشاكلة، وهي عند الصحاح: مشابهة، اتحاد في النوع، اتحاد في الخاصية، الاشتراك في النوع كاشتراك الأرض والهواء بالكروية، وفي الرياضيات يطلق على شكلين متشابهين فيما عدا السطح المرسوم عليه كل منهما، قانون المشاكلة هو أحد قوانين تداعي المعاني.

كذلك فهو عند بعض اللغويين: اشتراك الكلمات الواردة في السياق بلفظ مع اختلاف في المعنى، وشرط

هذا الاشتراك هو المجاورة والمثلية البنائيـــة، وعنـد الجرجاني هو ذكر الشيء بغير لفظه، اعتمـاداً علـى معموله. (القرعان،ص68) وبذلك تظهر أنـواع مـن التراكم بالاعتماد على المشابهة والاختلاف بيـن مـا يجمع:

- الاختلاف في الـتركيب والاتحـاد فـي المعنـى (بالإحالة على معمول) .
- الاختلاف في التركيب والاتحاد في خاصية معينة
- التشابه في التركيب مع اختلاف في المعنى .
- التشابه في التركيب مع اختلاف في الموقع .
- وجود عامل مشترك يربـط العنـاصر (معنـى، خاصية، صفة، فكرة،..)

وتظهر آليتان لتركيب وتجميع تلـك العنـاصر تراكمياً هي التراكب الطباقي (فوق بعضها، التـوازي) والتجاور (الأفقي)، ويعتمد ذلك التجميع فـي أحـايين كثيرة على التكرار كآلية لتحقيق التراكم أو يبتعد عنـه إذا ما جاء التكرار بصيغة المساواة والتطابق ويمكـن تفريق التراكم عن التكرار كما يلي:

4_ "التكرار "

التكرار هو الإتيان بعناصر متماثلة في مواضـع مختلفة من العمل الفني، والتكرار هو أسـاس الإيقـاع بجميع صوره. وهو إعادة الشيء مرة بعد مرة، وعنـد ابن الأثير: دلالة اللفظ على المعنـى المـراد كقولـك أسرع، أسرع للتوكيد، فأن المعنى مردد واللفظ واحـد، وإذا كان التكرير هو إيراد المعنى مردداً، فمنه ما يأتي لفائدة وهو جزء من الإطناب، ويقسم إلى قسمين الأول يوجد في اللفظ والمعنى، والثاني في المعنى دون اللفظ، أو ما يأتي لغير فائدة فهو نوع من التطويل.

والتكرار الكمي هو تعداد وترديد مفردة، تركيـب (مقطع) إحصائيا، أما إذا اكتسب قيمة مغايرة وصيغـة إيحائية تتجاوز المعطى مباشر الدلالة، بهذا لا يلتفـت لتكرار المفردة إحصائيا بل لانفتاحها تأويلياً مع ذلـك التكرار على فضاء مغاير للدلالة الحقيقية، وبهذا يصبح التكرار تراكماً كمياً. بذلك يتصل التراكم بالتكرار مـن حيث أنه جزء من التكرار وهو أخص منه، أي أن كـل تراكم هو تكرار، وليس كل تكرار هو تراكـم، فكـل تراكم يعتمد على التكرار ويختلف ذلك التكـرار فـي ماهيـة عنـاصره (معـاني، كلمـات، خصـائص، تراكيب،..) وهدفه، اتجاهه وطريقة تجميعه .

يعرّف الباحث محمد التراكمية بأنها سمة أسلوبية تظهر باجتماع عناصر لسانية في النص (من المرجـع الواحد _حضوره وغيابه _، حوار المراجع المتعـددة بتكثيف وتعدد الأصوات المشاركة)، لإنتاج تعالق دلالي أو تركيبي، أو تظافرهما معا في النص، مشكلة بذلـك نتوءاً بتكرارها ذاتـها أو بـإحداث تمـاثل (مـوازاة تركيبية)، ويعتمد على مرتكزي التكـرار والمـوازاة، وتتساوى في أحد أشكالها مع التكـرار وفـي أشـكال أخرى تكون مساوية للتظافر الأسلوبي والذي يحـدث لإشباع سياق ما بتراكم متنوع.

وهو أيضا التكرار الذي يشير إلـى الزيـادة أو كثافة الإضافة المؤدية إلى دلالة تجسـد نوعـا مـن التضخيـم المنضـم علـى شـكل ثنيـات مرتبـة. [جعفر،1992،ص123] أو يقصـد بـه إقامـة دلالـة الاضمحلال على لحظة شعرية مكثفة ويتحقق بتكـرار لفظ معين بمعاونة مدلول سياقي وعن طريـق حـذف بعض الألفاظ أو العد التنـازلي أو القطـع أو البـتر. (د.جعفر،1992،ص124)

مما تقدم نجد أن مفهوم التراكمية يتوافـق مـع مفهوم التماثل في معناه الجوهري (من خلال فـك مـا ارتبط به من مفاهيم أخرى متداخلة معه)، ويبتعد عـن معنى التساوي الذي يساويه بالتكرار بمعناه المتطـابق، كما يرتبط التراكم بكل من التشابه والتشاكل كمقومـات للتجميع .

5_ "مفهوم التراكمية في العمارة"

يـبرز مفـهوم التراكميـة (ACCUMULATION) من بين المفاهيم المطروحـة فـي العمارة المعاصرة الذي أتخذ عدة تسميات تراوحت بين التكرار في بعض الأحيان وبين التعدديـة الصوريـة،

البؤر الفكرية أو الشكلية المكثفة، التجميع المتنوع، غزارة الصور، الآثار والعمل الجماعي، في أحيان أخرى. لقد أشارت إليه العديد من الدراسات بطرح غير مباشر في اغلبها أو بطرح مفاهيم تصب فيه أو تؤدي إليه، واعتمدت في اغلبها على اللغة والأدب كمصادر أساسية لتغذية واستقاء جوانبه وبلورتها داخل العمارة .

يمتاز مفهوم التراكمية (أو التراكم) بكونه متعدد الأشكال، غير مستقر، يتخذ تسميات متعددة (داخل العمارة وخارجها). أشارت إلى ذلك بعض الدراسات المتخصصة حول التراكمية في الشعر المعاصر، ولعل تعريف التراكمية على أنها (أسلوب يظهر باجتماع عناصر لسانية متنوعة في النص _ تكرار حوار الحضور والغياب في المرجع الواحد، حوار المراجع المتعددة بتكثيف وتعدد الأصوات _ لينتج تعالق دلالي أو تركيبي، أو تظفرهما معا داخل النص، يعتمد على مرتكزين، التكرار والموازاة، وإن التنوع في الأساليب والصيغ المتراكمة لا يلغي التراكم، بل ينوعه. [محمد،1999،ص91] كما أن هناك اتجاهين للتراكم، فأما النمو والزيادة و أما التلاشي والنقصان)، يمهد السبيل للخوض في المفهوم وتداخلاته وأشكاله، كما يمثل مقطع من شعر السياب (قصيدة نهاية من ديوان أساطير) تطبيقا لذلك التعريف.

وظل الصدى في خيالي بعيد
سأهواك حتى .. سأهوا _نواح
سأهواك حتى ..يا للصدى
(سأهوا _) ما اكذب
العاشقين !
.." سأهوا _" نعم..
تصدقين؟

وبذلك نجد أن التراكمية ليست محددة بالعمارة فقط، بل تزامن استثمارها في الشعر والأدب والمسرح والفن والرواية،.. تعكس في كل منها خصوصية مجالها، وتحتفظ بالمقومات الأساسية التي تؤسس المفهوم، وتبقي الاتصال مستمراً بين تلك الحقول.

يبين فنتوري بان النص المعماري يجب أن يعمل ويكون عدة أشياء في وقت واحد: توترات، تناقضات، تجاور وتجميع العناصر المختلفة كصانعة للعمارة، الغموض،.. [Kaufman,1982,p.140]

ويحمل النص إشارة واضحة إلى ضرورة استثمار التراكم في كل شي إذا ما قورنت بما يسميه الباحث محمد بالتضافر الأسلوبي المؤدي إلى التراكمية من خلال تضافر كثير من الإجراءات الأسلوبية المستقلة في نقطة واحدة معطاة وعدم إشباع السياق بصيغة واحدة، بل تلونه مما ينتج تراكم متنوع غير متطابق.

ويشير فنتوري أيضاً إلى أن العمارة الجيدة هي التي تستحضر عدة مستويات من المعنى، وبؤر متعددة للتركيز البصري، إذ يصبح بالإمكان قراءة فضاءاتها وعناصرها بطرق شتى في آن واحد. [فنتوري ،1987،ص31] كما يوضح بان الهدف من ذلك هو زيادة الإدراك الحسي الآني للمتلقي وتصعيبه. [فنتوري ،1987،ص 53]، يطرح جنكز ستراتيجية الحوار التي تؤدي إلى تراكم الأصوات في النص وإقامة عدة حوارات مع المتلقي والناشئة من توحيد عدة منظومات مختلفة في نفس الوقت. [Jencks,1993,p.16] أي **تراكم المنظومات، المراجع، والأساليب** .

كما نجد المفهوم قد استثمر في العديد من الحقول، فجنكز يستعير من أدب الرواية، عبر فكرة الحوار الذاتي والحوار متعدد الأصوات. كما يشير آيزنمان إلى مفهوم التكثيف بالمعلومات، والتي يصطدم بها المتلقي في فاصلة زمنية قصيرة جدا، بتدفق سريع يعكس الواقع المعقد. [Eisenman, 1993,p.52] أي يشمل تراكم الأحداث، المفاهيم الفكرية وتركزها في بؤر مكثفة.

6_ الموقف المعماري المعاصر تجاه التراكمية:

نظرة نحو التكرار في عمارة الحداثة

أشارت معظم الدراسات الأدبية المعاصرة إلى أن التراكمية تتساوى في أحد أشكالها مع التكرار،

وتخرج نحو البلاغة إذا ما خرج التكرار من المباشرة (المعنى، التركيب المتطابق) إلى اللامباشرية باكتساب المفردة المكررة دلالة مغايرة في كل مرة (أو باختلاف التركيب لنفس المعنى)، أما إذا كان التكوار الشكل الوحيد للتراكم (المباشر)، اصبح نوع من التطويل والحشو البعيد عن البلاغة .

اقترنت العمارة الحديثة بالتكرار الذي أسيء استخدامه إلى ابعد الحدود، واصبح أداة لتحقيق التجريد العالي. فالعمارة الحديثة لا تهتم بمعناها أو بالأحرى بافتقارها للهوية الخاصة والشعور بالمكان والناتج عن استخدام الكتل الصندوقية النمطية، بسبب اعتقادهم، وكما يوضح بونتا، بان مثل هذه العمارة هي اكثر اقتصاداً في الكلفة من العمارة التعبيرية، ومن ثم فإنها اكثر كفاءة واكثر وظيفية. [بونتا،1996،ص18] فركزت عمارة الحداثة على أحادية الشكل وأحادية المضمون مما ولد تشابها وتكراراً في الأشكال للوظائف المختلفة.

بذلك ارتبطت العمارة الحديثة بصيغة التكرار (المتطابق) سواء على مستوى الجزء (البناية) من خلال المبالغة في تكرار المعالجات، العناصر، الأشكال المجردة، أو على مستوى الكل (البنى) وما يطلق عليه بالأسلوب العالمي المعتمد على الاستنساخ والتكرار المتطابق، وعلى صعيد المستويين ولم يرتبط ذلك التكرار بتبرير أو معاني تفسره.

جاء التكرار في هذه المرحلة نتيجة عدة أسباب منها:

- الاستناد إلى محددات ومعايير وظيفية مكررة، مما ولد نماذج وحلول معروفة مسبقا ومحددة.
- وجود ما يسمى بتحقيق التكافؤ من خلال التكوار، فبناء منازل متماثلة معتمدة على تكرار الخرائط التنفيذية نفسها سيؤدي إلى إنتاج منازل متكافئة.
- ارتباط فكر الحداثة بالجدة وإنتاج أشكال ليس لها سوابق تاريخية، إلا أن النتاج لم يحقق ذلك، حيث أصبحت الأشكال راسخة ومن ثم متوقعة، أي استحدثت أصلاً لتكون جديدة لكنها تحولت إلى مكررة.
- الفشل في أسر مخيلة المتلقي بسبب رفضها للتقاليد والبساطة العقلانية المرافقة لمبدأ البدء من جديد بعيدا عن التنوع والغموض.

نتيجة لما سبق برزت العديد من التوجهات المعاصرة التي حاولت تجاوز ما وقعت به الحداثة من مشاكل تطبيقية إضافة إلى الفكرية، (من ضمنها مشكلة تساوي التراكمية بالتكرار بصورة مطلقة) .

أما عن سبب فشل الحداثة في استخدام التكرار ضمن إمكانياته المختلفة ، فيشير بونتا إلى أن الدلائل إذا ما عممت فلا بد لها أن تتحول أخيراً إلى إشارات، وتصبح أشكالها بالتدريج اكثر بساطة واكثر تشوهاً، وبذا فأن فلسفة الحركة ستتعرض للخيانة، وهذا ما حدث في العمارة الحديثة. (بونتا،1996،ص63)

إن ما واجهته الحداثة من قصور لم يكن في التكرار، بل فيما يكرر، واقترانها بالأشكال المجردة البسيطة مما حول التكرار إلى نسخ ونمذجة، حاولت الانقطاع عن تكرار الشيء السابق لتقع في شرك تكرار أشكالها الجديدة وابتعدت عن التفسير البسيط للجدة وهو هدفها الأساسي. وبذلك ظهر عدم الاستثمار الأمثل لإمكانيات التكرار وبالتالي لم يبرز مفهوم التراكمية في هذه المرحلة.

7ـ التراكم الصوري في عمارة ما بعد الحداثة

استحوذت النقاط السابقة على اهتمام معماريي ما بعد الحداثة فتعمقوا في التاريخ واختاروا أجزاء (أو كل) الشكل من الأساليب السابقة، واختلفت طبيعة تعاملهم ومعالجتهم، وحتى نظرتهم تجاه ذلك الموروث.

ويصف كلرنتر هذا الجانب بأن المعماريين عملوا على لصق التقاليد (أجزاء أو كل) سوية، وإن هذه الأشكال جردت من المعنى ومن التفاصيل، كما كان اختيارهم لها لمصلحة أهميتها البصرية و إشارتها الغامضة للماضي. لذا فإن أشكال ما بعد الحداثة قد استخدمت في البداية كأسلوب مضحك، وان الأشكال التقليدية قد تم اختصارها وتقليصها إلى طبقة خارجية خفيفة ملصقة على جدران الأبنية.

[Gelerenter,1995,p.279] ويفسر كلرنتر ذلك بأنه خلال معظم تاريخنا كان المنظرون اكثر اهتماماً وتأكيداً على الحدود النهائية من جانب واحد (للنصوص السابقة) بدلاً من البحث عن النظرة المتوازنة للتعامل معها. إنهم بوضوح قد وجدوا أنها اسهل في فهم و إبراز الأمثال والأقوال والحكم، بدلا من الخداع ودهاء الازدواجيات المعقدة في تكوين النتاج، والقليل منهم قدموا جهودا لحل المشكلة بدرجات مختلفة منهم شولز، كروبيس، هلير،..[Gelerenter, 1995,p.289]

اتجهت بذلك عمارة ما بعد الحداثة في بدايتها وبصورة مكثفة نحو التقاليد المعمارية واعتمدت دلالات نتاجها الجديد على طبيعة ترجمة النصوص السابقة. ترجمة ظاهرية للأشكال الصورية بالاعتماد على أساليب الاقتباس والتجميع الاعتباطي وتجاور الملصقات من صور وأشكال ورموز من الموروث المعماري. فاقترن التراكم في هذه المرحلة بالإقحام المكثف لصور الماضي وإغراق واجهات الأبنية بها، أي بالتراكم الصوري المعتمد على الاقتباس من الماضي .

اتصفت هذه المرحلة من عمر العمارة بإغراق الواجهات برموز الماضي كمحاولة لإعادة الترابط مع الموروث فظهر مفهوم الاقتباس، إذ تشير دراسة رو إلى أن الاقتباس ينبع من توجه ينظر إلى العمارة بعلاقة مع نفسها وعناصرها المكونة، حيث ترتبط العناصر السابقة مع بعضها في سلسلة تشير فيها فقط إلى طبيعتها كعناصر معمارية.. وفي هذا إظهار للاستمرارية التاريخية. يعد هذا الأسلوب وكما تشير دراسة النعيمي يعد نوع من التناص البسيط (الظاهري) للموروث. فبرز التناص لأول مرة في عمارة ما بعد الحداثة كأسلوب للترابط مع التقاليد (المحاكاة) نتيجة للتعامل مع الموروث كنص، وشكل الركيزة الأساسية لمفهوم التناص، ولكن طروحات النصف الثاني من ثمانينيات هذا القرن أشرت اخفاقات ما بعد الحداثة في الاستثمار الأمثل لإمكانيات التناص. وأهم تلك الاخفاقات هي الاقتباس والترجمة المبسطة لنصوص الماضي على مستوى الشكل والمعنى، مما أدى إلى إنتاج عمارة تعتمد على تراكم الصور الماضية بعيداً عن الإحساس الحقيقي لجوهر التقاليد، وبعيداً عن القوة المتأصلة في ستراتيجية الاقتباس. [النعيمي،1999،ص14] إذ اعتمد أسلوب الاقتباس (النموذج الكلاسيكي للتناص) في عمارة ما بعد الحداثة على مبدأ اختلاس النظر إلى أعمال الآخرين، والذي يعتمد على فكرة ليفي شتراوس في الارتجال والتجميع الاعتباطي واللصق، والهادف إلى كشف العلاقات المتشابهة بين الأعمال (وليس النصوص) المتعالقة، أي بنية التشابه، بينما تبحث العمارة التفكيكية على بنية الاختلاف. [النعيمي،1999،ص24]

وعليه فأن عمارة ما بعد الحداثة تعاملت مع الموروث باعتباره أعمال وليس نصوص فلجأت إلى تجميع مقتطعات من تلك الأعمال وتجميعها بالاعتماد على التشابه بينها مما يولد صورة واضحة لقيم مسبقة يستوعب من قبل المتلقي بسهولة، وجاء التراكم كنتيجة بديهية غير مقصودة للتجميع الصوري، أي ارتباط التراكمية في عمارة ما بعد الحداثة بالتجميع الصوري المتراكم للأشياء المختلفة والمتعددة بأساليب الكولاج بهدف التأثير البصري على المتلقي، وهو نوع من أنواع اختصار وتكثيف الوسائل للحصول على دلالات واسعة ويرتبط أما بالبعثرة والتشتيت أو بالتركز ببؤر مكثفة .

8_ "أساليب تراكم آثار النصوص في العمارة التفكيكية"

في الوقت الذي ظهرت فيه أصوات ناقدة لأسلوب ما بعد الحداثة، ظهرت دعوات أخرى لتناص قائم على التكرار الصعب لنصوص الماضي بالنظر إلى بنية الاختلاف بينها والغور في جوهرها بدلا من الالتصاق بالأشكال والصور السطحية .

هناك نوعان من التناص، الأول كلاسيكي رافق ما بعد الحداثة في بدايتها، يعتمد على استخدام الموضوعات التاريخية كخلط حر لأشكال متنوعة تنتج تراكمات صورية. [النعيمي،1999،ص22_23] ويظهر فيه التراكم على شكل تجميعات صورية غير مقصودة، غير منظمة وحتمية لتجميع رموز الماضي. أما النوع الثاني، اللا كلاسيكي فيعتمد على تكرار معقد لأشكال بسيطة، وهذا النص لا يبدو عفويا بل يعين بعداً فردياً لعملية الخلق والمصاغة بشكل تداخل تراكمي طباقي counterpoint. وهو يؤشر إظهار الاختلافات بدلا من البحث عن التشابهات بين النصوص المتعالقة [النعيمي،1999،ص21]

يطرح كاندلسوناس نوعان من التراكم خلال تحليله لأعمال وأفكار كل من آيزنمان و كريفز، فتعامل كريفز مع العمارة كان باعتبارها صورة، لينتج التراكم من تجميع اقتباسات صورية من الماضي وتداعي معانيها. (Gandelsonas, 1980,p.255) أما آيزنمان فيعتبر العمارة كنص، والعملية التناصية تعتمد على الكتابة وليس الصور. فيطرح فكرة الآثار، والتي تمثل حضور النصوص الغائبة بالاعتماد على بنية الاختلاف بين النصوص المتعالقة. ويبرز مفهوم التداخل بين النصوص في العمارة التفكيكية استنادا إلى فكرة الأصل والأثر وارتباطها بفكرة الحضور والغياب، كما أن النص الجديد يتكون من تراكم آثار النصوص السابقة، فالنصوصية textually هي حالة للآخرية othernes. (Eisenman, 1993,p.42)

عليه نلاحظ تعامل العمارة التفكيكية مع عملية التراكم باعتبارها آثار وأن النص المعماري هو كتابة لموضوع ما وليس إلصاق صور الماضي والموروث، و أشرت نقاط التحول من مفهوم التناص في عمارة ما بعد الحداثة والمعتمد على تراكم الصور والرموز الماضية إلى توجهات ومفاهيم ما بعد البنيوية المعتمدة في العمارة التفكيكية، تحولا في مفهوم التراكم نفسه، فابتعد عن تجميع صور الماضي المعتمد على بنية التشابه الظاهرية بين المفردات، إلى تراكم يعتمد على بنية الاختلاف، والتعامل مع النصوص السابقة كآثار تفتح مجال الحوار والتأويل الخاطئ من قبل المتلقي، مما يؤدي إلى تعدد القراءات .

تطرقت دراسة النعيمي إلى بعض نقاط التحول في مفهوم التناص والمتعلقة والمنعكسة على التحول في مفهوم التراكمية بشكل مباشر، وكما يأتي:

- الاعتماد على التكرار الصعب لأشكال بسيطة، بدلا من الخلط الحر لأشكال متنوعة منتقاة من الماضي لمعالم و شواخص بارزة، تناص يستهدف الاكتشاف بدلاً من الاقتباسات السطحية.
- التناص كمرشح نقدي، تستخلص من عمليته الترشيحية، المخططات الذهنية لتشكيل نصوص جديدة من خلال كشف الاختلافات المتواجدة في النصوص السابقة بدلا من البحث عن بنية التشابه، فانتقل من مجرد أسلوب للاستمرارية والترابط مع التاريخ إلى إعادة تقييم العمارة ككتابة. [النعيمي،1999،ص26]
- أهمية التناص الجديد تبرز في تعزيز قيمة استرداد المعاني والنصوص السابقة بقيمة إنضاج، اعتماداً على مبدأ الإضافة والاستبدال، إضافات من الخيال، واستبدالات من خلال ترجمة خاطئة تعمل كقراءة استنطاق مع إساءة استعمال، والتي تعطي إنضاج للعمل. [النعيمي،1999،ص3]

نلاحظ محاولة تكثيف المعنى بزيادة المدخلات سواء كانت شكلية أو فكرية، وهي السمة المميزة للتراكم، والذي يحاول استثارة المتلقي والدخول في حوار معه.

يبرز جنكز مستوى آخر في استثمار التراكمية، وهو ما يطلق عليه بالعمل الكورالي التوافقي (الجماعي) Choral work، حيث يتم تجميع عدة أساليب

في نفس الوقت، ففي مشروع اللافليت تم استخدام مجازات متنوعة ومختلفة وكلها بنفس الأهمية، فيشير جنكز إلى أن كلا من آيزنمان ودريدا قد استعملا جزأين: مقلع الحجارة واللوح الممسوح. [Jencks, 1993,p.268] ويستخدم آيزنمان مبدأ إعادة الاستخدام (reuse)في بناء التراكم، حيث يعاد استخدام وتوظيف الأشكال (جزء منها، علاقة،..) عدة مرات ومرات في سياقات متعددة، وهو ينطبق أيضا على الأبنية الفكرية، فاتخذت الكنيسة في مشروع (روميو وجولييت) لتعبر عن الاتحاد مرة والانقسام مرة أخرى، وهكذا. [Eisenman,1986,p.82]

عن التكرار النسخي الصوري لعمارة ما بعد الحداثة، وتعيد الحوار مع المتلقي والتأثير به. كما نتلمس تعدد الجوانب المرتبطة بالمفهوم (في ما بعد الحداثة و التفكيكية) كالتكثيف، التجميع المتنوع، التعدد، المفاجأة، التداخل، العمل الكورالي، إعادة الاستخدام.. مما يعوز أهمية استكشاف صيغه والجوانب المرتبطة بتحقيقه واستثماره.

9_ " أهم مظاهر التراكمية في العمارة المعاصرة "

يمكن تلخيص أهم مظاهر التراكمية في الفترات المختلفة للعمارة المعاصرة (الحداثة، ما بعد الحداثة،

الحداثة	تساوي التراكم مع التكرار المجرد المتطابق واقتصار المعالجات على التمييز للدلالة على تغير الوظيفة أو التمويه وعدم تميز مفردات التراكم (لأنها متطابقة ومكررة) . يكون الحكم على كثافة أو اتجاه التكرار (التراكم) هو بالمقارنة أما بالموقع والحجم الذي يحتله التكرار ضمن المنظومة ذاتها، أو مع منظومات مجاورة، أو لمنظومة التصورات المترسخة حضارياً (النفس المعماري أو في أخرى في ذهن المتلقي) . التكرار يكون أفقي (تجاور) أو عمودي (توازي) أو الاثنين معاً للمفردات المتطابقة .
ما بعد الحداثة	تجميع وحشد عناصر بصرية منتقاة من مجموعة متنوعة من اللغات السابقة بهدف التأثير البصري على المتلقي، أي الإقحام المكثف لصور الماضي والاعتماد على بنية التشابه كمعيار للتجميع واستخدام أساليب التجميع الاعتباطي، اللصق والإقحام القسري الصوري . التراكم في هذه المرحلة هو نتيجة بديهية غير مقصودة للتجميع الصوري المختلف والذي يتصف بالتجاوري، الأفقي (الخطي) وبعدم وجود تفاعل بين المتجاورات، فهو فقط تجميع يعتمد على الإشارة إلى الماضي ويهدف إلى استرجاعه .
التفكيكية	التراكم المتنوع باستخدام تراكب وتجاور عدة أنظمة في آن واحد، واستخدام عدة أساليب كاللصق، التراكب، التجاور والانتقائية الجذرية، إعادة الاستخدام، .. لتحقيق التنوع، يسبق هذا التنوع، الاختلاف . تكثيف المعنى بزيادة المدخلات سواء كانت شكلية أو فكرية . تراكم آثار النصوص السابقة (بالنظر إلى النصوص ككتابة تخضع للمسح والإضافة، وليس كصور) . العمل الجماعي كأسلوب لتراكم الأصوات (المعمارية ،الفكرية ،الشكلية) .

ويستخدم آيزنمان أيضاً بين الأشكال، وذلك بتقسيمها إلى أجزاء تفصل بينها أجزاء من منظومة أخرى ويستخدم الحذف والاستبدال أو تقطيع المراجع ومداخلتها في أكثر من موقع.

مما سبق نلاحظ أن العمارة التفكيكية قد ارتبطت بمفهوم التراكمية وأبرزته في تطبيقاتها وبأنماط مختلفة لتحقيق أهدافها في الترابط مع الموروث بطريقة تبتعد

التفكيكية) وكما وردت في الطروحات آنفة الذكر، كالآتي:

إن غياب الإطار النظري لتعريف مفهوم التراكمية وعدم استقرار تعريفه واختلافه بين الدراسات كون الحافز الرئيسي لقيام البحث فالطروحات السابقة والتي تخللت التعرف على المفهوم في العمارة المعاصرة لم تبلور أطر واضحة أو تستقر على تعريف

ثابت للمفهوم، ربما بسبب حداثة المصطلح وعدم تداوله رغم امتداد خيوطه ضمن العديد من المفاهيم المعاصرة المهمة كالتناص، الإقحام، آثار النصوص، ..

وبضوء ذلك النقص المعرفي تحددت المشكلة البحثية بـ (عدم وضوح المفهوم ووجود إطار نظري يعرفه كستراتيجية للبناء والتداخل النصي)، وتمثلت أهداف البحث بطرح تعريف للمفهوم وبلورة إطار نظري يعرفه كستراتيجية للبناء والتداخل النصي.

لتحقيق أهداف البحث حدد المنهج بمرحلتين:

- استخلاص تعريف للمفهوم وتحديد معالمه في العمارة.
- استخلاص إطار نظري له بضوء استكشاف التصورات المعمارية السابقة وبلورتها بمفردات أكثر دقة وشمولية.

10_ تعريف مفهوم التراكمية في العمارة

10_1 استكشاف المفهوم في العمارة

لم يرد مفهوم التراكمية بشكل مباشر في أغلب الدراسات المعمارية ولكنه ورد بشكل ضمني في مصطلحات مقاربة أو ضمن أخرى تتعلق به.

- ترتبط التراكمية بالزمن، وتهدف إلى الترابط مع التقاليد والاستمرارية التاريخية، لا أن تقف عند النسخ والتجميع بل تتعداه إلى الإضافة لتكون عملية جدلية بين القديم والجديد. كما تصف التراكمية في مستوى الدلالة دون المستويات الأخرى.
- يكون الهدف من حشد معلومات مكثفة بصورة متواترة وموجزة، وازدحامها في بؤر (شكلية أو فكرية) قائمة على التنوع في الإيقاع والتوتر، هو جلب انتباه المتلقي والتأثير عليه عن طريق تلك البؤر التي تكمن فيها البلاغة الدرامية المراد إيصالها والتأكيد عليها.
- ترتبط التراكمية بالتجميع اللا متناه (وإعادة الاستخدام والتوظيف) لأجزاء قادرة إلى توليد معاني مفتوحة وأساليب مختلفة.

من كل ما سبق نلاحظ وبشكل واضح عدم وضوح، تضارب واختلاف تناول المفهوم وتحفيقه في التعاريف السابقة وعدم وجود تعريف شامل للمفهوم يحدد جوانبه ومعالمه، لذلك سيلجأ البحث إلى الغور في الحقول المتاخمة للعمارة والتي استقت معظم الطروحات المعمارية المعرفة المطروحة منها .

10_2 التراكمية كاصطلاح أدبي:

مفهوم التراكمية من وجهة نظر الدراسات الأدبية هي عملية إنتاجية ترتكز على بناء فكرة والتركيز عليها عن طريق التجميع المكثف لأشكال أو مفاهيم سواء بالتكرار (المتطابق أو المغاير) لعناصر، أو بتظافر الأساليب المختلفة، أو بتصادم سلسلة الحضور والغياب المتعاقبة لتكون بؤر مركزة (أو بشكل مبعثر) تعمل بمجموعها على تعزيز تمثيل الفكرة وزيادة دقتها. وهي سمة للنتاج ومعيار نقدي، لإبراز الخصوصية المنفردة للموضوع المحور الرئيسي والكشف عن موقع وماهية التراكم .

10_3 التراكمية في حقل الفلسفة:

ترتبط التراكمية فلسفياً بعلاقة المصمم بالنص خلال عملية التصميم، وبعلاقة المتلقي مع النص وعملية الإدراك والقراءة. وتنتج من حشد وحدات متواترة بحالات مختلفة وحسب مسببات ومحفزات معينة .

10_4 تعريف المفهوم في علوم الإجتماع:

تطرح التعاريف الاجتماعية بعداً زمنياً للتراكمية والتي ترتبط بنوع وكمية الإضافة الحاصلة في قاعدة معينة أو نظام سابق.

10_5 التراكمية في الفن:

مفهوم التراكمية في الفن هو عبارة عن تكوين بنية ناتجة من تجميع واقعين (شكلي أو فكري) أو أكثر، تجاورهما أو تراكبهما تزامنياً لإنتاج محتوى

دلالي وشكلي لا ينتمي لأي منهما، يستدعي المتلقي لاكتشافه ونسج خيوطه .

10_6 تعريف التراكمية في العمارة:

من مجمل التعاريف السابقة يمكن استخلاص تعريف شامل لمفهوم التراكمية على أنها:

"عملية إنتاجية تعتمد على بناء المصمم لمتتاليات من التعالق بين نصوص متعددة (أفكار، مراجع شكلية، أساليب، دلالات)، بالتحكم بعملية تداخل تلك النصوص والعلاقة بينها (تقوية أو إضعاف)، وبأساليب معالجتها (تصاعد، تنازل) مما تحدد مظهر النتاج، تتركز في بؤر مركزة أو تكون مشتتة على طول النص مما يزيد من فعالية المتلقي في إدراك أسباب ودواعي التراكم وتداعياته، وهي أسلوب ومعيار نقدي للكشف عن المحاور الرئيسية في النص".

وبذلك تم تحقيق أولى الأهداف في تحديد تعريف شمولي للمفهوم. ويمكن تشخيص أبرز المعالم المحددة للمفهوم كستراتيجية.

11_ "أهداف التراكمية "

تراوحت الأهداف بين أهداف نقدية، جمالية، إيصالية، تواصلية وذاتية، وكما يلي:

- النقدية: الكشف عن الظاهرة الأساسية في النص أو محور النص أو الفكرة التي يركز عليها الباعث باستعمال التراكم سواء المركز أو المشتت.
- الجمالية: إشباع السياق، إزالة التوسع بالتكثيف، خلق الديناميكية، التدعيم والنمو والتطور، انفتاح المعاني وتحقيق الاختلاف والتعقيد، إغناء النص والابتعاد عن التكرار .
- الايصالية: إقامة علاقة حوارية جدلية بين القارئ، بين المؤلف والنص، وبين عناصر النص، جلب الانتباه وإمتاع العين المتجولة وتحقيق الدراما .
- تواصلية: الترابط مع التقاليد.
- ذاتية: الوقوف عند حالة والتأكيد عليها وتفصيلها، الإلحاح إلى أفكار معينة.

12_ " تحقيق التراكمية "

- ماهية المفهوم: عملية إنتاجية، سمة للنتاج ومعيار نقدي .
- مقدار كثافة التجميع: اشتركت اغلب التعاريف على ضرورة الكثرة والمبالغة والازدحام، التكثيف، الإلحاح، التضخيم، وذكرت أخرى الاضمحلال، التناقص، والتلاشي.
- مستويات بناء التراكمية: الفكري، الشكلي، الدلالي (من قبل المتلقي(التداعيات)) .
- أنواع التراكم: حسب طبيعة العناصر، حسب درجة التعقيد، حسب التنظيم، حسب اتجاه النمو، وحسب مقدار التركز.
- آليات التراكم (الدلالية عند المتلقي): تداعي الأفكار، التخيل .
- أنواع التداعي: التداعي الآني، التداعي التعاقبي .
- قوانين التداعي (عوامل إنشاء التراكم): التشابه الجوهري، التضاد، التجاور، السببية، لا توجد علاقة.
- محفزات التداعي (عند المتلقي): التكرار، الجدة، الشدة، المدة، التباين، والاهتمام .

ولغرض توضيح تلك الجوانب وتفصيلها تمت الاستعانة بالدراسات المعمارية والأدبية التي مثلت التراكمية جزءً معلناً أو ضمنياً فيها ومن ثم بلورة طروحاتها إلى مفردات أكثر دقة وشمولية.

13_ الطروحات المعمارية:

13_1 طروحات تايلر 1993:

يطرح تايلر مستويين لتحقيق التراكمية هما، مستوى الأفكار (بتداخل مع مستوى التجسيد الشكلي في التراكمية) والمستوى الأسلوبي. فبالنسبة إلى المستوى الأول يشير إلى استخدام آيزنمان لتراكم ثلاث نصوص لاستخراج الفكرة الرئيسية لمشروع روميو وجولييت مصدر تلك النصوص هو من حقل الرواية، حيث قام

بتجميع وتحليل ثلاث نصوص لكتاب مختلفين لرواية روميو وجولييت (Shakespeare, Bandello, Da Porto) لاستخلاص المبادئ الأساسية والأفكار الرئيسية التي أسستها، واستخدام ستراتيجية أل scaling لتحقيق تراكم وتداخل النصوص لينتج الاختلاف Difference حيث يستخدم آيزنمان مزيج من 30 (ورقة شفافة) تحمل تفسير وتخطيط رؤية القصة (للكتاب الثلاث) بمقاييس مختلفة، وبهذا لا يولد آيزنمان النص المعماري (الأفكار) من إزاحة نص قديم، بل من مزج وتراكم عدة نصوص، فالأصل Origin هنا يتجزأ ويتلاشى، فلا أصل محدد للنص الجديد. تلك الكتابات خلقت تصادمات وصراعات مختلفة مع بعضها، فالمشروع (site) يبدوا كطريدة أو فريسة (Quarry) للصراع، والمشروع لا يبنى فقط على فكرة الصراع (برؤية كل كاتب) بل يبدوا كأشكال متصارعة (وهنا يبدأ التداخل مع مستوى التجسيد الشكلي وعكس الأفكار). فبواسطة تجاور وإقحام روايات (فكرية) مختلفة _برؤى مختلفة_ ومزج مقاييس مختلفة يطرح آيزنمان مشكلة عدم وجود نص Text كما إنه يطبق أل Scaling (التقشير) ويعيد استخدامه اكثر من مرة،

بذلك تكون الفكرة العامة مكونة من تراكم الأفكار الجزئية المشتقة من تحليل نصوص متعددة تتراكب وتتصارع كأفكار وكتطبيق، حيث يتم إعادة تجسيد تلك الأفكار أكثر من مرة وبمواقع ومقاييس ومعاني مختلفة في كل مرة .

أما عن المستوى الأسلوبي وما يخص العمل الجماعي الكورالي (Choral work) فيستشهد بما ذكره آيزنمان عن أن في كل نص هناك دائماً نصاً آخر، نص برنارد يمكن رؤيته كنص آيزنمان في فنس، ونص آيزنمان سوف يكون نصاً لدريدا، ونص دريدا سوف يكون مترابطاً مع نص أفلاطون في أل Timaeus، وفي أثناء تطوير أل Choral work يصبح تراكم وتداخل الأساليب معقداً أكثر فأكثر. [Taylor, 1993,p.85]

13_2 طروحات برودبنت 1991:

ويربط برودبنت التراكم بالمستوى الشكلي من خلال التجربة الاختراقية التي طرحها دريدا لتحقيق عمارة معقدة والتي تعتمد على الاندماجات المتعددة كحركة مستمرة تنتج تراكم على المستوى الشكلي باختلاف المعالجات المستعملة في وقت واحد واختلاف آليات التجميع، واستعمالها عدة مرات، فيشيد برودبنت بالتجربة الاختراقية داخل كل نسيج كالتموج، الاستبدال والإقحام كحركة مستمرة تعطي اندماجات متعددة، كبدائل للسياقية المعتمدة على محتوى سابق الوجود. كما يبين كيفية الانتقال في التجميع، حيث أن أسلوب التجميع التجاوري والإقحام يظهر كومضات تسطع فجأة ثم تتلاشى. (Broadbent, 1991,p.213) لكنه لم يتعمق بطبيعة، ماهية، موقع وكثافة تلك الاندماجات المكونة للتراكم ولا طبيعة التداخل الومضي السابق.

13_3 طروحات آيزنمان 1993:

يفسر آيزنمان كيفية التعامل مع النصوص المتراكمة وطبيعة المعالجة الخاصة بتداخلها، فاقترح قراءة العمارة كنص. فبدلا من كونها سلسلة تصورات تشير إلى تكوينات أو قيم سابقة، تكون سلسلة من الأحداث، وتصبح العمارة عبارة عن كتابة (الأحداث) بدلاً من إلصاق الصور، بذلك فإن النصوص السابقة (الموروث) تصبح عبارة عن آثار Traces، وما يكتب منها ليس التكوين object نفسه، شكله أو حجمه، بل ما يكتب هو فعل الشكل الصلب The act of massing. تلك الفكرة تمنح العمارة جسداً مادياً مجازياً، وبذلك ترمز العمارة لنفسها من خلال أنظمة أخرى (مختلفة) من الإشارات والتي تسمى (الآثار). لكنها بعيدة عن القراءة العلمية أو الأدبية (قيمها المسبقة)، فهي تشير إلى فكرة قراءة الأحداث، لا تهتم بتشكيل تصور حول العمارة (تمثيل عمارة ما) بل تسجيل وتعيين عملياتها الداخلية. فالآثار إذن هي تسجيل لدوافع ومحفزات العمارة، وهي تعتبر المتلقي مشارك وفعال في بناء النص وليس مشاهد ومستعمل فقط. إن المعنى الناتج هو معنى

بنيوي نابع من الاختلافات المتعددة بين العناصر، فالأشكال زئبقية الدلالة، إذ تصبح الجدلية بذلك بين حضور الشكل وغياب معناه بشكل يضمن نهايات مفتوحة للمتلقي، كما إن المتلقي غير مجبر على معرفة كيفية حل الشفرات Codes، هنا لا تستخدم لتعيين المعاني، بل إن الفعالية الأولى للقراءة هي في إدراك الشيء كلغة، كما هي، وهو بذلك يفترض القراءة الخاطئة التي تحفز على القراءة الثانية أو الثالثة، أي قراءة العمارة كنص. [Eisenman, 1993,p.30]

وبذلك فمن خلال فكرة قراءة العمارة كنص يصبح التراكم، تداخل لكتابات الأحداث (الآثار) لنصوص سابقة (وليس أعمال)، وككتابة فهي قابلة للمسح أو الإضافة، ويبتعد عن التناص الناسخ (التكرار)، إلى التناص الصعب، كما يطرح طبيعة تلك الآثار، معانيها، طبيعة دور المتلقي وطبيعة القراءة .

يطرح آيزنمان عدداً من المفاهيم لتحقيق التناص الجديد (المعتمد على تراكم الآثار وليس الصور)، منها ما هو هدف ومنها ما هو آلية لتحقيقه، والمنعكسة على التراكم من خلال تداخل النصوص .

استهدفت مناقشة وتحليل الطروحات المعمارية استكشاف المستويات التي تحقق التراكمية، أهدافها، وكيفية تنظيمه. وبشكل عام تنظر الطروحات السابقة إلى المفهوم بضوء جوانب متنوعة ومتباينة تتبلور في جوانب محددة، فبينما ركزت طروحات تايلر على مستوى التراكم الفكري والمستوى الأسلوبي المجسد بالعمل الجماعي التوافقي Choral work فإن برودبنت قد اعتبر التراكم آلية لتحقيق التداخل النصي والمعتمد على بنية الاختلاف في التجميع، وطرح مستوى التراكم الشكلي والأسلوبي. أما آيزنمان فطرح المستويات (الفكري، الشكلي، الدلالي، والأسلوبي)، بينما عرض تشومي إلى تنظيم التراكم وعملية تداخل النصوص على المستويات الدلالي والشكلي. لقد شملت الجوانب المعتمدة في الطروحات السابقة جوانب متعددة مثلت الإطار النظري للتراكمية:

- الأهداف .
- مستويات بناء التراكمية .
- أنماط تنظيم التراكم .
- التراكمية كأسلوب نقدي للكشف عن بنية الأحداث الصانعة للنص.
- طبيعة التداخل بين النصوص .
- العمليات التفصيلية .

يمكن بلورة تلك الجوانب إلى مفردات محددة وواضحة فيما يلي:

14- الإطار النظري للتراكمية

أ) المفردة الأولى: أهداف التراكمية

وصفت أغلب الطروحات السابقة أهداف التراكمية، اتفقت بعضها على أهداف معينة كتحقيق التعقيد والاختلاف، الابتعاد عن التكرار البسيط، التأثير بالمتلقي،.. وتفرد البعض الآخر بأهداف منها تحقيق الديناميكية، ضمان وحدة النص، والكشف عن محور النص. وقد برزت الحاجة إلى إبراز الجوانب المطروحة وبلورتها في مفردات شاملة وأساسية تتضمن ما يلي:

أ. طبيعة الوظائف التي تؤديها التراكمية:

- الوظائف التركيبية: تم إغناء هذا الجانب من الأدب، وتضمنت، ضمان وحدة النص وتحقيق الديناميكية.
- الوظائف النقدية: فمن خلال تتبع واستكشاف المفردات (الأفكار، الظواهر أو الأساليب) المتراكمة يمكن الوصول إلى سبب التراكم، أي الكشف عن الأفكار المولدة للنص المتراكم، ويمكن الحكم على نص التراكمية بمقدار ما تحمله تلك النصوص من معالم نصوص الأصل.
- الوظائف الذاتية: ويتراوح بين الإلحاح على أفكار معينة معمارية (مدارس، مذاهب،..) أو ذاتية تخص المصمم وانفعالاته النفسية .
- الوظائف الجمالية: اختلفت بين: إشباع السياق وإغناء النص، تحقيق التعقيد والاختلاف والتنوع، وانفتاح المعنى، الابتعاد عن التكرار البسيط.

- الوظائف التواصلية: أي الترابط مع التقاليد (المعمارية أو أخرى).
- الوظائف الايصالية: وتضمنت الحوار بين عناصر النص والمتلقي(المراجع، الأفكار،..).

ب. التراكمية كأسلوب نقدي: تؤشر هذه المفردة التفصيلية مظاهر التراكمية التي يمكن التقاطها في النص المعماري من قبل الدارس (الناقد) للكشف عن أهم البؤر الفكرية والشكلية بالتحليل، التي أسست النص، وبالتالي وضع الإصبع على الموضوع الرئيسي للنص والمقصود من قبل المصمم. ويستند توضيح هذه المفردة على تركيب المعرفة المطروحة في الدراسات المعمارية والأدبية والنقدية، لإغناء المفردة وفقراتها الفرعية وهي:

- طبيعة الوحدات المكونة لبنية التراكم.
- طبيعة العلاقة بين العناصر المتراكمة.
- آليات الكشف عن التراكم.

ب) المفردة الثانية: مستويات تحقيق التراكمية

وتعنى هذه المفردة بالعمليات التفصيلية الداخلة في عملية إنتاج التراكمية وعلى مستويات متعددة شملت كلاً من (التراكم الزمني، تراكم الأفكار، تراكم الدلالة، التراكم الشكلي، التراكم الأسلوبي) جمعت في مفردة واحدة تضمها معاً لكونها تمثل جوانب تخص العملية التصميمية وبناء التراكم. تم تعريفها كما يلي:

- **التراكم الزمني:** ويشمل الزمن التصاعدي، الزمن التنازلي، الزمن المتوازي.
- **تراكم الأفكار:** ويختلف من ناحية طبيعة الأفكار (من ناحية كليتها: فكرة عامة مجزئة إلى أفكار ثانوية، أفكار مستقلة تعزز أحدها الأخرى. من ناحية تأثيرها. تحليل المراجع الفكرية. ماهية الخصائص والصفات المستخلصة. العلاقة بين الخصائص أو الصفات. طبيعة الوسائل المستخدمة في التحليل. الموقف من الخصائص والصفات.
- **تراكم الدلالة:** تتضمن، عوامل توليد تراكم الدلالة (التماثل، المخالفة والخلخلة التركيبية). آليات التراكم الدلالي (التداعي ، التشاكل. طبيعة المعاني المتكونة. علاقة الدلالة بالأشكال المولدة لها. طبيعة التفاعل بينها. أنواع القراءات.
- **التراكم الشكلي:** ويختلف طبقاً لـ، عوامل انتقاء المراجع الشكلية. آليات عزل المفردات الشكلية من المراجع. استقلالية المراجع، منطق التجميع الطبيعة التوافقية بين المراجع ، المعالجة الإيقاعية (طبيعتها، الآليات). المعالجات التركيبية (أبعادها، الآليات). موقع التراكم.
- **التراكم الأسلوبي:** ويشمل، طبيعة الأصول المتداخلة، طبيعة العلاقة بين الأساليب المتداخلة، عمليات التداخل بين الأساليب (طبيعة التداخل، آليات التجميع، آليات المعالجة)، طبيعة التكوين الناتج، أنواع التراكم.

جـ) المفردة الثالثة: أنماط تنظيم نسق التراكم

توضح هذه المفردة الأنماط التنظيمية لتأسيس التراكم الذي يبتعد عن الوظيفة السطحية له (مجرد تكرار)، إلى الدور البنائي والتركيبي الذي ينضج النص الجديد. تم تعريف هذه المفردة وفقاً لمجموعة فقرات:

- **عمليات التجميع والمعالجة:** وتشمل، أنواع التجميع (حسب طبيعة المفردات، حسب التنظيم، حسب درجة التعقيد، حسب اتجاه النمو (تصاعدي، تنازلي، بؤر مركزة)). طرق التجميع (التجاور، التراكب، التداخل، أخرى (الصق، الإقحام، النهجين).
- **أنساق التنظيم:** سعة التنظيم (على مستوى الكل (تصاعد، تنازل)، على مستوى الجزء (تصاعد، تنازل))، أنواع أنساق التنظيم، وتختلف الأنساق التنظيمية لاتجاه التراكم بين (النسق التصاعدي، النسق التنازلي، النسق المتوازي، النسق المتقطع، النسق المتداخل).

أنماط التداخل النصي في التراكمية: توضح هذه الفقرة طبيعة التداخل بين النصوص تراكمياً وأنماطه، وتم تعريفها من خلال علاقتها بما يلي: طبيعة التداخل، وأنماط التداخل.

15_ الاستنتاجات:

- من المعرفة المطروحة في العمارة عن هذا المفهوم، ومن الحقول الأدبية التي عززت تكامل تلك المعرفة، يمكننا أن نؤشر التراكمية بأنها فسيفساء من حشد وتكديس لنصوص معالجة بتمطيط أو تكثيف أو بأشكال مختلفة بقصد التركيز على فكرة أو حدث (أو جزء منه). فهي عملية إنتاجية، سمة للنتاج، معيار نقدي.
- تعد التراكمية في العمارة المعاصرة بشكل عام كستراتيجية لبناء النص المعماري بالاعتماد على حشد النصوص السابقة (المرجعية أو الأسلوبية) وتحكم بطبيعة وكيفية التداخل بين تلك النصوص، كما أنها معيار نقدي تعتمد على فك وتحليل النص السابق، والحكم على مدى إبداع النص الناتج من خلال مدى الابتعاد عن الأصل خلال عملية التراكم، وهي سمة للنتاج.
- يتوافق مفهوم التراكمية مع مفهوم التماثل في معناه الجوهري، ويبتعد عن معنى التساوي الذي يساويه بالتكرار بمعناه المتطابق، كما يرتبط التراكم بكل من التشابه والتشاكل كمقومات للتجميع.
- ظهر عدم الاستثمار الأمثل لإمكانيات التكرار وبالتالي لم يبرز مفهوم التراكمية في مرحلة الحداثة. فما واجهته من قصور لم يكن في التكرار، بل فيما يكرر، واقترانها بالأشكال البدائية المجردة البسيطة مما حول التكرار إلى نسخ ونمذجة، حاولت الانقطاع عن تكرار الشيء السابق لتقع في شرك تكرار أشكالها الجديدة وابتعدت عن التفسير البسيط للجدة وهو هدفها الأساسي.
- ارتباط التراكمية في عمارة ما بعد الحداثة بالتجميع الصوري المتراكم للأشياء المختلفة والمتعددة بأساليب الكولاج بهدف التأثير البصري على المتلقي فهو حشد وتكديس للصور.
- يعتمد التراكم في العمارة التفكيكية على بنية الاختلاف، والتعامل مع النصوص السابقة كآثار مما يفتح مجال الحوار والتأويل الخاطئ من قبل المتلقي ويؤدي إلى تعدد القراءات .
- وترى التراكمية كأسلوب تحليلي نقدي، من خلال تتبع واستكشاف المفردات (الأفكار، الظواهر أو الأساليب) المتراكمة يمكن الوصول إلى سبب التراكم، أي الكشف عن الأفكار المولدة للنص المتراكم والمحور الذي يركز عليه الباعث بالإلحاح عليه، ويمكن الحكم على نص التراكمية بمقدار ما تحمله تلك النصوص من معالم نصوص الأصل.
- أمكن بلورة ثلاث مفردات رئيسية لتعريف التراكمية كستراتيجية للبناء والتداخل النصي وهي:
  - أهداف التراكمية.
  - مستويات تحقيق التراكمية.
  - أنماط تنظيم نسق التراكم.

وقد أرتبطت كل منها بجوانب أكثر تفصيلاً تصف الستراتيجية.

المصادر العربية:

1. القرعان، فايز؛ "التقابل والتماثل في القرآن الكريم"، رسالة دكتوراه، 1994.
2. النعيمي، ندى خضر؛ "التناص في العمارة التفكيكية"، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة التكنولوجية الهندسة المعمارية، 1999..
3. بونتا، خوان بابلو؛ "العمارة وتفسيرها: دراسة للمنظومات التعبيرية في العمارة"، ترجمة: سعاد عبد علي مهدي، مراجعة: د. إحسان فتحي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1996.
4. جعفر، د. عبد الكريم راضي؛ "تكرار التراكم وتكرار التلاشي: في نماذج الشعر العربي المعاصر"، مجلة آفاق عربية، العدد التاسع، أيلول، 1996، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
5. فنتوري، روبرت؛ "التعقيد والتناقض في العمارة"، ترجمة: سعاد عبد علي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987.
6. محمد، أرشد علي؛ "أسلوبية البناء الشعري: دراسة أسلوبية لشعر سامي مهدي"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1999.

المصادر الأجنبية:

7. Broadbent, Geoffrey; "Deconstruction A student Guide"; Journal of Architectural Theory and Criticism; U.I.A, Academy Editions, London, 1991.
8. Eisenman, Peter; "Re: Working Eisenman"; Academy Editions, London, 1993.
9. Gandelsonans, Mario and Morton, David; "On Reading Architecture"; 1972, in Broadbent, G. and Jencks, Ch.; (Sing, Symbol and Architecture), London, John Wiley and Sons, U.K., 1980.
10. Gelernter, Mark; "Sources of Architectural Form"; New York, 1995.
11. Jencks, Charles; "Architecture Today"; Academy Editions, London, 1993.
12. Kaufman, Jacob; "Post – Modern Architecture, An Ideology, Ph.D thesis, University of California – Los Angels, 1982.
13. Row, Peter G., "Design Thinking"; The M.L.T Press, Cambridge, 1988.
14. Taylor, Mark C.; "Re: Working Eisenman: Refusing Architecture"; Academy Editions, London, 1993.